@ 765 @ فقال تعالى : ! 2 2 ! بأنواع الشهوات ، حتى صارت هي غايتهم ، ونهاية مقصودهم ، فلم تزل يتربي حبها في قلوبهم ، حتى صارت صفات راسخة ، وعقائد متأصلة . ! 2 2 ! الذي لا شك فيه ، ولا مرية ولا اشتباه . ! 2 2 ! أي : بين الرسالة ، قامت أدلة رسالته ، قياما باهرا ، بأخلاقه ، ومعجزاته ، وبما جاء به ، وبما صدق به المرسلين ، وبنفس دعوته صلى ا عليه وسلم . ! 2 2 ! الذي يوجب على من له أدنى دين ومعقول ، أن يقبله وينقاد له . ! 2 2 ! وهذا من أعظم المعاندة والمشاقة . فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه ، بل ولا جحده ، فلم يرضوا حتى قدحوا به ، قدحا شنيعا ، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل ، الذي لا يأتي به إلا أخبث الخلق ، وأعظمهم افتراء . والذي حملهم على ذلك ، طغيانهم بما متعهم ا به وآباءهم . ! 2 2 ! مقترحين على ا بعقولهم الفاسدة : ! 2 2 ! أي : معظم عندهم ، مبجل من أهل مكة ، وأهل الطائف ، كالوليد بن المغيرة ، ونحوه ، ممن هو عندهم عظيم . قال ا ردا لاقتراحهم : ! 2 2 ! أي : أهم الخزان لرحمة ا ، وبيدهم تدبيرها ، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون ، ويمنعونها ممن يشاؤون ؟ ! 2! 2 أي : في الحياة الدنيا ، ^ (و) ^ الحال أن ! 2 2 ! من الدنيا . فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد ا تعالى ، وهو الذي يقسمها بين عباده ، فيبسط الرزق على من يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، بحسب حكمته ، فرحمته الدينية ، التي أعلاها النبوة والرسالة ، وأحرى أن تكون بيد ا تعالى ، فا أعلم حيث يجعل رسالته . فعلم أن اقتراحهم ساقط لاغ ، وأن التدبير للأمور كلها ، دينيها ودنيويها ، بيد ا وحده . هذا إقناع لهم ، من جهة غلطهم في الاقتراح ، الذي ليس في أيديهم منه شيء ، إن هو إلا ظلم منهم ، ورد للحق . وقولهم : ! 2 2 ! لولا عرفوا حقائق الرجال ، والصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل ، وعظم منزلته عند ا وعند خلقه ، لعلموا أن محمد بن عبد ا بن عبد المطلب صلى ا عليه وسلم ، هو أعظم الرجال قدرا ، وأعلاهم فخرا ، وأكملهم عقلا ، وأغزرهم علما ، وأجلهم رأيا ، وغزما ، وحزما وأكملهم خلقا ، وأوسعهم رحمة ، وأشدهم شفقة ، وأهداهم وأتقاهم . وهو قطب دائرة الكمال ، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال ، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق . يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه ، إلا من ضل وكابر . فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثال ذرة من كماله ؟ ومن جرمه ومنتهى حمقه ، أن جعل إلهه الذي يعبده ، ويدعوه ، ويتقرب إليه ، صنما ، أو شجرا ، أو حجرا ، لا يضر ولا ينفع ، ولا يعطي ولا يمنع ، وهو كل على مولاه ، يحتاج لمن يقوم بمصالحه . فهل هذا ، إلا من فعل السفهاء والمجانين ؟ فكيف يجعل مثل هذا

عظيما ؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم محمد صلى ا عليه وسلم ؟ ولكن الذي كفروا لا يعقلون . وفي هذه الآية تنبيه على حكمة ا تعالى ، في تفضيل ا بعض العباد على بعض في الدنيا ! 2 2 ! أي : ليسخر بعضهم بعضا ، في الأعمال والحرف ، والصنائع . فلو تساوى الناس في الغنى ، ولم يحتج بعضهم إلى بعض ، لتعطل كثير من مصالحهم ومافعهم . وفيها دليل على أن نعمته الدينية ، خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى : ! 2 2 ! . ^ (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحم ن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون * وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ^ يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوي عنده شيئا ، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده ، التي لا يقدم عليها شيئا ، لوسع الدنيا على الذين كفروا ، توسيعا عظيما ، ولجعل : ! 2 2 ! أي : درجا من فضة . ! 2 2 ! إلى سطوحهم . ^ (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) ^ من فضة ، ولجعل لهم زخرفا ، أي : لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف ، وأعطاهم ما يشتهون . ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي ، بسبب حب الدنيا ، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم . وأن الدنيا لا تزن عند ا جناح بعوضة ، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا ، منغصة ، مكدرة ، فانية ، وأن الآخرة عند ا تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره ،